تفسير إبن كثير

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

قال العوفي في تفسيره ، عن ابن عباس في تفسير هذه الآية ، قال : إن المشركين قالوا : عمارة بيت االله ، وقيام على السقاية ، خير ممن آمن وجاهد ، وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره ، فذكر االله استكبارهم وإعراضهم ، فقال لأهل الحرم من المشركين : (قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون) [المؤمنون : 66 ، 67] يعني : أنهم كانوا يستكبرون بالحرم قال : (به سامرا) كانوا يسمرون به ، ويهجرون القرآن والنبي - صلى االله عليه وسلم - فخير االله الإيمان والجهاد مع نبي االله - صلى االله عليه وسلم - على عمارة المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند االله مع الشرك به إن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه .قال االله : (لا يستوون عند االله واالله لا يهدي القوم الظالمين) يعني : الذين زعموا أنهم أهل العمارة ، فسماهم االله " ظالمين " بشركهم ، فلم تغن عنهم العمارة شيئا

.وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في تفسير هذه الآية ، قال : نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي [الحاج] ونفك العاني ، قال االله - عز وجل - : (أجعلتم سقاية الحاج) إلى قوله : (واالله لا يهدي القوم الظالمين) يعني أن ذلك كان في الشرك ، ولا أقبل ما كان في الشرك .وقال الضحاك بن مزاحم : أقبل المسلمون على العباس وأصحابه ، الذين أسروا يوم بدر ، يعيرونهم بالشرك ، فقال العباس : أما واالله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونفك العاني ، ونحجب البيت ، ونسقي الحاج ، فأنزل االله : (أجعلتم سقاية الحاج [وعمارة المسجد الحرام]) الآية .وقال عبد الرزاق : أخبرنا ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن الشعبي قال : نزلت في علي ، والعباس - رضي االله عنهما - تكلما في ذلك .وقال ابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرت عن أبي صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار ، وعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، فقال طلحة : أنا صاحب البيت ، معي مفتاحه ، ولو أشاء بت فيه . وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو أشاء بت

في المسجد . فقال علي - رضي االله عنه - : ما أدري ما تقولان ، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد ، فأنزل االله - عز وجل - : (أجعلتم سقاية الحاج) الآية كلها .وهكذا قال السدي ، إلا أنه قال : افتخر علي ، والعباس ، وشيبة بن عثمان ، وذكر نحوه .وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن عمرو ، عن الحسن قال : نزلت في علي ، وعباس وعثمان ، وشيبة ، تكلموا في ذلك ، فقال العباس : ما أراني إلا تارك سقايتنا . فقال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : أقيموا على سقايتكم ، فإن لكم فيها خيرا .ورواه محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الحسن فذكر نحوه .وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث مرفوع ، فلا بد من ذكره هاهنا ، قال عبد الرزاق :أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير [عن رجل] عن النعمان بن بشير - رضي االله عنه - أن رجلا قال : ما أبالي ألا أعمل عملا بعد الإسلام ، إلا أن أسقي الحاج . وقال آخر : ما أبالي ألا أعمل بعد الإسلام ، إلا أن أعمر المسجد الحرام . وقال آخر : الجهاد في سبيل االله أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر - رضي االله عنه - وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صلينا الجمعة دخلنا عليه . فنزلت (

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) إلى قوله : (لا يستوون عند االله)طريق أخرى : قال الوليد بن مسلم : حدثني معاوية بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، عن النعمان بن بشير الأنصاري قال : كنت عند منبر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - في نفر من أصحابه ، فقال رجل منهم : ما أبالي ألا أعمل الله عملا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج . وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام . وقال آخر : بل الجهاد في سبيل االله خير مما قلتم . فزجرهم عمر بن الخطاب - رضي االله عنه - وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . قال : ففعل ، فأنزل االله - عز وجل - : (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) إلى قوله : (واالله لا يهدي القوم الظالمين)رواه مسلم في صحيحه ، وأبو داود - وابن جرير وهذا لفظه - وابن مردويه ، وابن أبي حاتم في تفاسيرهم وابن حبان في صحيحه .